



نساء رقيقات يلامسن الثريا

تأليف

فيصل سعيد محمد الصاعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد: فهذه رسالة لطيفة تتحدث عن نساء رقيقات، حملن في قلوبهن إيمان صادق، وعزيمة قوية، وتحلين بأخلاق حسنة، وقيم فاضلة، سمت بأنفاسهن فجاوزن الثريا رفعة وعزة.

تعلمين أختي أن الإسلام كرم المرأة، وصان عرضها، وأعلى قدرها، ورفع الظلم عنها، فمنحها كامل حقوقها من حياة، وميراث، وتملك، وعدالة، وتعليم، وإنجاب، وأثار لها فكرها وهداها إلى محاسن الأخلاق، وحذرنا من كل رذيلة تحدثن حيائها، وتدنس طهرها وعفافها.

ولعلك أختاه تشاهدين في هذا الزمن الحملات المغرضة، التي تنادي بأنحلال المرأة وتجريدها من قيمها وأخلاقها، تحت شعارات التحرير والتنوير.

أختي العفيفة إن مكانتك الاجتماعية، ورقبك الفكري، وإبداعك الحقيقي،
يكمن في التزامك بثقافتنا الإسلامية الأصيلة، التي أرشدتنا إلى كل خير، وحذرتنا
من كل شر، وحافظت على هويتنا على امتداد السنين والقرون.
ولتلمي أن حضارة المرأة وتقدمها، وعزتها، ورفعتها، وسر جمالها، يكون في
ما شرع الله لها من دين ومنهاج، وليسعك ما وسع خديجة، وعائشة، وحفصة،
وسائر أمهات المؤمنين.
والله اسأل أن ينفع به إنه سميع مجيب.

أصل الأنثى

خلق الله آدم وكرّمه بأن خلقه بيده، ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا له جميعاً إلا إبليس: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١).

ثم خلق الله عز وجل جميع الناس من نفس واحدة، وخلق لآدم زوجة منه، واقتضت حكمة الله ومشيتته أن يجعل الذرية من نسل آدم وحواء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

و يخبرنا القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق مكرم، وهذا التكريم لجميع البشر فلم يختص به الذكر دون الأنثى أو الصغير دون الكبير:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣).

ولما أمر الله آدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض، هبطت حواء برفقته، وسكنت إلى جنبه و عمّرت الأرض معه، فكانت له عوناً وسكناً بما تحمله من عاطفة ومحبة ومودة.

(١) سورة ص: ٧٥.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الإسراء: ٧٠.



ومن هذه الألفة نتجت الذرية من الرجال والنساء في الأرض تحقيقاً لقوله

تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢٠ - ٢١] .

فكانت الأنثى ولازالت شقيقة الرجل وأليفته، ونصفه الآخر، وسكنه ولباسه، ورفيقة دربه وحياته.

مؤمنات يقهرن الطفافة

تختلف المرأة عن الرجل في تكوينها الجسمي، فحبها الله عز وجل بعض الخصائص التي تميزها عن الرجل، فجعلها رحيمة، رقيقة، ودودة، ناعمة، وجملها بأحاسيس ومشاعر مرهفة، وجعلها أكثر عطفاً وشفقة من الرجل. وزين الله المرأة المؤمنة بنور الإيمان وجملها بأخلاق الإسلام فتصبح عند توهج نور الإيمان في قلبها أكثر رقة ونعومة، فتزداد حسناً وبهاءً ونوراً، وتكون أنفاسها طاهرة وجوارحها نضرة محفوظة بملائكة الرحمن. وعندما يجتمع في المرأة صفاء النفس، وقوة الإيمان بالله؛ ترقى تلك النفس المؤمنة من حب الدنيا وزخرفها إلى الآخرة وما فيها من نعيم مقيم.

وكلنا يعلم كيف كانت "آسية بنت مزاحم" -زوجة فرعون- عندما آمنت بالله وتوهج الإيمان في قلبها كيف تركت القصور والأموال والجواهر، والوصيفات من النساء والجواري، وترف العيش من الجنات والعيون، وآثرت الآخرة وما عند الله على مكانتها الاجتماعية، فألقت ذلك الترف والكبرياء والنعيم الزائل خلف ظهرها، وأقبلت على الله مؤمنة صادقة، فقهرت فرعون الطاغية، فلم يستطع أن يثنيها عن إيمانها بالله برغم ما يملك من قوة وجبروت وطغيان .

ولما احتد غضب فرعون أمر الحرس والجنود أن يعلنوا على الملأ نهاية هذه المرأة ليشهد الناس عذابها وتكون عبرة لمن خرج عن دين الملك، فأحضرت أمام الناس موثقة بالقيود مكبلة بالحديد، لا حول لها ولا قوة، فهتفت من أعماق قلبها تناجي ربها وترجوا عونه ونصرته فهتفت بنفض الإيمان منادية ربها : ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فنصرها الله على فرعون، واستجاب لها فقبض روحها وخلصها من تعذيب فرعون وقومه، ولم يكتفي بتخليصها من العذاب وإنما زادها تشريفا وفضلا بأن جلد ذكرها في القرآن الكريم وجعلها مثالا يُحتذى به . ومن فضلها وكمالها ما ورد فيها على لسان رسول الله ﷺ من حديث أبي موسى ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران^(١) .

مشهد آخر من مشاهد الصابرات ضد الطغاة

رقية الثقفية

كانت رقيقة الثقفية تعيش في الطائف في بني ثقيف، ولما قدم النبي ﷺ الطائف مرّ بها وكانت مشركة على دين قومها، فأكرمته بشيء من طعام وشراب ودعاها إلى عبادة الله وترك الشرك فقالت له أخاف من طغاة قومي أن يقتلوني. فأرشدتها النبي ﷺ وعلمها كيف تصنع وخرج من عندها. فأمنت بربها وخالقها وسارت على طريقة رسول الله فجاء طغاة قومها فعلموا بإسلامها فطلبوا منها أن تعود لعبادة الأصنام فلم تفعل فقتلوها.

وقد أورد قصتها ابن عبد البر قال^(٢) :

روى أصحاب السير عن عبد ربه بن الحكم عن ابنة رقيقة عن أمها رقيقة قالت: لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم يبتغي النصر بالطائف دخل علي فأخرجت له شراباً من سوق فقال : « يا رقيقة لا تعبدي طاغيتهم ولا تصلي إليها » .

قالت : إذا يقتلوني ! قال : " فإذا قالوا لك فقولي : ربي رب هذه الطاغية فإذا صليت فوليتها ظهرك " . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي . قالت بنت رقيقة : فأخبرني أخوأي سفيان ووهب ابنا قيس بن أبان قالا : لما أميلمت ثقيف خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما فعلت أمكم »

قلنا : هلكت على الحال التي تركتها . قال : « لقد أسلمت أمكم » .

مشهد آخر من مشاهد الصابرات ضد الطغاة

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

سمية بنت خياط

أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم أجمعين، أسلمت هي وزوجها وابنها عمار، فلما علمت قريش بإسلامها، قاموا بتعذيبها فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل، يتفننون في تعذيب هذه الأسرة المؤمنة برها والمغلوبة على أمرها، ولم يكن لهم ناصر ولا منقذ من عذاب الطغاة وبطشهم، فأخرجوهم إلى بطاح مكة في قافلة الصيف المحرقة حتى إذا حميت الرمضاء عذبوهم بحرها . ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يُعذبون فقال : « صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة » .

فمات زوجها ياسر تحت وطأة عذاب المشركين، وأما زوجته أسماء فأمر أبو جهل أن تربط بحبل متين يُشد بين بعيرين، ثم طلب منها أن ترتد عن الإسلام، فأبى فقام إليها أبو جهل وفي يده حربة فطعنها في قبلها فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام.

رضيع يحث أمه .. على النار

لم تُخيف النار المضرمة، والأخاديد التي شقها الملك الظالم، هذه الرقيقة المؤمنة التي خلّد التاريخ ذكرها في العالم، فلم تكفر بربها، ولم تخضع للشرك، ولم تخشى عذاب ذلك الطاغية المتكبر، فتقدّمت تمشي راسخة يملأ قلبها الإيمان بالله، تقدّمت وجند الملك يدفعونها بقسوة، ويخبرونها بين عبادة الطاغية أو القذف في الأخدود. فحملها إيمانها بالله على الصبر والطمأنينة فأشرفت على حفرة النار وعيناها تدمع حرقة وألما من هول مصيبتها فأشفقت على صغيرها الذي تحمله فتقاعست وتوقفت هنيهة فنطق صغيرها قائلاً لها اصبري أماه فأنتي على الحق.



حوار من نوع آخر

مات زوجها فتبادر إليها الرجال يريدون خطبتها، فتقدم إليها أبو طلحة الأنصاري يريد الزواج بها .

فقلت له :إنك رجل مشرك . ولا ينبغي لي أن أتزوج برجل مشرك لا يؤمن بالله .

فخرج أبو طلحة: ثم التفت إليه وقالت: إني فيك لراغبة؛ ولكن ألا تعلم أنّ إلهك الذي تعبده صنم من خشب صنعه نجار بني فلان!!



ثم قالت له : إن تسلم أوافق على زواجك ويكون إسلامك مهري، لا أسألك غيره. فذهب من عندها.

وقد أيقظت في قلبه روح الفطرة والإيمان. فجعل يتفكر في كلامها ويتدبر ويقلب حديثها ويراجعه في نفسه، وينظر في ذلك الصنم المنحوت من الخشب. فقذف الله في قلبه الإيمان وهداه إلى الإسلام فلما أصبح ذهب إليها وقال: أم سليم: قد وقع في قلبي ما قلت فنطق الشهادتين وأسلم ثم تزوجها . فقال بعض الصحابة: ما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.

وهذا الحوار أختي المسلمة يدلنا على اهتمام أم سليم الأنصارية، بشأن الدعوة إلى الإسلام وحرصها على الأجر العظيم، فبذلت نفسها ولم تطلب مالا برغم أن أبا طلحة كان من أصحاب الأموال في المدينة. فحوار تلك الصحابية الجليلة غير ذلك الرجل من ظلمات الشرك، إلى نور الإيمان، ومن الخواء الروحي إلى العبادة وحسن الخلق، حتى صار عابدا مجاهدا. فحسن إسلامه حتى أنه إذا رأى النبي ﷺ قال: نفسي لنفسيك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء. وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل».

صبرت فظفرت ونالت الشرف

من السابقات إلى الإسلام، أم رومان بنت عامر الكنانية رضي الله عنها،
زوجة أبي بكر الصديق، أفضل رجل بعد رسول الله ﷺ أنجبت له عائشة،
وعبدالرحمن، رضي الله عنهم أجمعين.

كانت أم رومان رضي الله عنها، تخدم رجال الدعوة الإسلامية في دار
الأرقم ابن أبي الأرقم، وتحمل همّ المسلمين مع أبي بكر الصديق، كان بيتها مأوى
للمسلمين يجتمعون فيه لمناقشة أمور الدعوة الإسلامية .
لم تمكث أم رومان في مكة كثيرا فهاجرت للمدينة بصحبة أولادها، فوصلت
للمدينة النبوية والناس يشتغلون في بناء المسجد فسكنت بجواره.

تعرضت هذه الصحابية الجليلة للابتلاء والامتحان في مجتمعها الذي
كانت تعيش فيه ففُجِعَتْ بحادثة الإفك في حق ابنتها عائشة حتى أغمي عليها.
ومع ذلك صبرت واستعانة بالله، فكانت تقول لعائشة:
أي بنية!.. هوّنى عليك، فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها
ولها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها. فاحتسبت أجرها على الله، فوقرت في بيتها
تراقب فرج الله، فنزل الوحي من السماء بترثة عائشة، فأنكشف الهم والكرب،
وزال الضيق عن هذه الأسرة السابقة إلى الإسلام .

وكان النبي ﷺ يقدر أم رومان ويكرمها حتى أنه يقول لأصحابه: «من سره

أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان».

ولما ماتت ذهب مع أهلها إلى قبرها فنزل فيه واستغفر لها وقال فيها: «اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك».



عظمة عائشة عاتمة الإسلام الأولى

تربّت في بيت النبوة وجمعت بين العلم والعبادة، وحسن العشرة، فكونت لنفسها شخصية عظيمة، فلا يحبها إلا مؤمن ولا يبغضها إلا منافق زنديق. تميزت عائشة بعلمها وفضلها وفصاحتها ونهمها للعلم ونشره والسعي في إصلاح المجتمع.

وكانت رضي الله عنها إذا سُئلت أجابت بعبارة موجزة:

فكانت تُسأل عن أخلاق النبي ﷺ فتجيب: "كان خلقه القرآن".

و تُسأل عن الخمار فتقول "إنما الخمار ما وارى البشرة والشعر".

و تُسأل رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟

فتجيب: ربما دخل وهو يقول سيأتيك بالأخبار من لم تزود.

فحري بطالبة العلم؛ أن تجمع تلك المسائل الكثيرة المشتهرة عن أم المؤمنين،

في بطن الكتب والمصنفات، فإن فيها علما غزيرا وفوائد جلية.



عائشة تتحدث عن طفولتها وزواجها

تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت تسع سنين . قدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج . فوعكت^(١) . فتمرق شعري . فأتتني أمي وإني لفي أرجوحة^(٢) ومعني صواحبات لي . فصرخت بي . فأتيتها وما أدري ما تريد . فأخذت بيدي فأوفقتني على باب الدار . وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي . ثم أخذت شيئاً من الماء فمسحت به على وجهي ورأسي . ثم أدخلتني الدار . فإذا نسوة من الأنصار في بيت . فقلن على الخير والبركة فأسلمتني إليهن . فأصلحن من شأني .

وفي صحيح مسلم، عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ « إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت على غضبي » . قالت فقلت ومن أين تعرف ذلك قال: « أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبي قلت لا ورب إبراهيم » .

وتروي رضي الله عنها ما حدث لها من فاجعة الإفك :

وُعكت فقلت لرسول الله ﷺ أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فوجدت أمي في السفلى، وأبو بكر فوق البيت يقرأ فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية ؟

(١) فوعكت: أصابها مرض .

(٢) الأرجوحة خشبة يوضع وسطها على مكان مرتفع، وفي طرفيها طفلان يتأرجحان .

فأخبرتها وذكرت لها الحديث. واستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمي ما شأنها ؟

قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك. فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمتي فقالت: لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خيرتها أو عجيتها .

ومن أعظم ما ورد في فضلها ما رواه البخاري في صحيحه: عندما طلبت أم سلمة رضي الله عنها من الرسول ﷺ أن تُوزع الهدايا حيث يكون من بيوته فقال: « يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها » .

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها :

أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول « أين أنا غداً أين أنا غدا » . يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة: فمات في اليوم الذي يدور علي فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه ليين نحري وسحري وخالط ريقه ريقى . ثم قالت دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به فنظر إليه ﷺ فقلت له أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته فأعطيته ﷺ فاستن به وهو مستند إلى صدري.

حليمة الراوية الأولى

أحداث سنة ٥٧١م

أرضعته صغيراً فغمرتها وباديتها بركة من السماء، ولما أن قابلها كبيرة مسنة أكرمها وبسط لها ردائه بيديه الشريفتين لتجلس عليه.

تروي لنا حليمة السعدية قصتها مع النسمة المباركة التي حظيت بها حينما قدمت مكة مع بعض النساء، وكانت فقيرة معدمة لا تملك شيئاً من حطام الدنيا فسارت راجية أن تنال أجره رضيع تسد بها جوع أسرتها المكونة من زوج وطفل صغير.

خرجت حليمة في سنة شهباء لا خضرة فيها ولا مطر، على أتان^(١) لها مُسنة، من بادية بني سعد، ومعها صغيرها يتضور جوعاً لم تنم أمه من شدة بكائه، وليس في ثديها ما يغذيه خرجت تطوي القفار تحت شعاع الشمس الحارة وكلها أمل أن تتحسن ظروفها، وفي وسط مكة هرعن صويجاتها مسرعات يتلقفن الأطفال فنالت كل واحدة منهن صيباً، ولم يبق سوى حليمة لم تجد رضيعاً لها، وبينما هي تبحث وجدت النبي ﷺ وقد تركه صويجاتها لكونه يتيماً، وكبر في نفسها أن تعود إلى زوجها بدون رضيع تحمله فأخذته ورجعت به إلى رحلها فوضعت في حجرها فأقبل عليه اللبن فشرب حتى روي وشرب أخوه وناما.

ثم قام زوجها إلى ناقته الهزيلة فحلبها فدرت عليه لبنا فشرب وشربت زوجته ثم قال لزوجته: والله يا حليلة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، قد نام صبياننا وقد روينا.

قالت: ثم خرجنا، فوالله لقد خرجت أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد. حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث كفي علينا النصب.

أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله. فيقولون: إن لها لشأنا.

حتى قدمنا منازلنا في بني سعد بن بكر.

قالت: فقدمنا على أجذب أرض الله. فوالذي نفس حليلة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا وأسرح راعي غنيمي، وتروح غنمي حُقلاً بطاناً، وتروح أغنامهم جياً هلاكاً، ما بها من لبن لشربة، فنشرب ما شئنا من لبن، وما من الحاضر من أحد يخلب قطرة ولا يجدها.

قالت: فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليلة. فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه، وتروح غنمهم جياً ما بها من لبن، وتروح غنمي حُقلاً لبناً.

قالت: فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت إذ جاء أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي، فقد جاءه رجالان فأضجعا فشقا بطنه. قالت: فخرجت وخرج أبوه نشد نحوه، فانتبهنا إليه وهو نائم ممتقع لونه، فاعتنقه واعتنقته، وقال: ما لك يا بني؟

قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فوالله ما أدري ما صنعا.

تشرفت حليلة السعدية واختصت دون صويجاتها بأن تكون مرضعة خير البشر ﷺ تحت رعاية الله، فنقلت لنا أحداثاً عظيمة في طفولة رسول الله ﷺ، وحظيت بهذا الفضل العظيم، وحصلت لها بركة في حالها ومنقبة لقومها بعد أسرهم.

وعن أبي الطفيل قال: رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة، قال أبو الطفيل وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور - إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هي؟ فقالوا هذه أمه التي أرضعته^(١).
وقيل أنها أخته من الرضاعة وليست أمه .. والله تعالى اعلم.



عاشت المرأة الغربية في حضارة جائرة استمدت ثقافتها من حضارة أثينا وروما ونظرت كلا الحضارتين للمرأة نظرة دونية، فجردتها من حقوقها الطبيعية والإنسانية، فمنعتها من حق التعليم، وحرمتها من حق التملك والتصرف، وحق

(١) رواه أبو داود في سننه برقم ٥١٤٦ باب بر الوالدين والبخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٩٥.

الطلاق، وحق العدالة .

ونبتت هذه النظرة الدونية للمرأة من أفكار اليونان والرومان الذين ينظرون للمرأة على أنها نفس شريرة تحمل روحا شيطانية، فامتنعوا كرامتها، وهتكوا عرضها، وخذشوا حياتها وأفسدوا طهرها وعفافها. حتى أن بعض فلاسفتهم يرى أنها لا تعدوا أن تكون متعة أو شيء من المتاع.

يقول "ول ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة"^(١):

"كانت أثينا تعترف بالبغياء رسميا وتفرض ضريبة على البغايا، وكانت المرأة تؤجر لأكثر من رجل في وقت واحد للمعاشرة".

كما أن الرومان كانوا يرون أن فقدان الأهلية يعود لثلاثة أسباب الجنون، والصغر، والأنوثة.

ويقول "جايوس": توجب عاداتنا على النساء أن يبقين تحت الوصاية لخفة عقولهن.

المرأة في دائرة المعارف البريطانية

تقول دائرة المعارف البريطانية:

"كان وضع المرأة في أثينا قد تدهور لدرجة أنها أصبحت بمثابة أمة تلد الأولاد لسيدها. وكان يتم حجر الزوجات داخل بيوتهن ولم يكن يحصلن على قدر

من التعليم، كما لم تكن لهن أية حقوق، ولم يكن أزواجهن يعتبرونهن أفضل من أثاث البيت. وكان القانون يعتبر المرأة معتوهة.

كما أن المسيحية لم تحسن من نظرتها تجاه المرأة فعاملة المرأة على أنها كائن أدنى من الدرجة الثانية، ونظرت إليها على أنها جلبت الخطيئة للبشرية بإخراج آدم من الجنة، واعتبرتها مُغوية".

وبعد ظهور عصر التنوير، والثورة الفرنسية، أفرطت المرأة الغربية في المطالبة بحقوقها المسلوبة فخرجت عن أنوثتها وطبيعتها الإنسانية وظنت أن حريتها في انحلالها وتجردها من القيم والأخلاق والتعاليم الدينية.

تلك أبرز الانعكاسات التاريخية التي مرت بحضارة المرأة الغربية دون التعرض للآثار السيئة على الفرد والمجتمع الغربي.

ولو وضعنا مقارنة صغيرة لتلك المرحلة الجائرة من ثقافة الغرب. مع حالة المرأة في بداية الحضارة الإسلامية لوجدنا بونا شاسعا بين نظرة حضارتنا الإسلامية للمرأة. وبين نظرة وموقف حضارة الغرب. ولأدركنا أن الإسلام أعاد للمرأة حقوقها وصانها من عبث العابثين.

يقول "مسيو ريفيل": "إننا لا نجد عملاً أفاد النساء ورفع من أقدارهن أعظم مما أتى به النبي محمد ﷺ فهن مديونات له بأمور كثيرة.

ولوجدنا - أختي المسلمة - أن الحضارة الإسلامية لم تقف عائقاً دون تطلعات المرأة ورغباتها في تطوير ذاتها الإنسانية، بل إننا نرى أن الثقافة الإسلامية أخذت بيد المرأة لتخرجها من عبودية البشر إلى عبودية الله، ومن جور الإنسان إلى

عدالة الإسلام، ومن دنس الجنس إلى صيانة العرض، وكرامة النفس . كما أن الثقافة الإسلامية رفعت من شأن المرأة وبيّنت مكانتها الاجتماعية، ومنحتها حقوقها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وحثتها على العلم والتعلم لتكون لبنة صالحة في نفسها، ومصلحة في أسرتها ومجتمعها. ومنحتها حوافز معنوية لتحقيق القيم والأخلاق الفاضلة.

وحضارتنا الإسلامية لم تكتفي بإبراز القيم والأخلاق الحسنة للمرأة بل تعدت هذا الجانب إلى كشف ومنع كل ما يחדش حياء المرأة وكرامتها ويدنس طهرها وعفافها.

ولو نظرنا لبعض النماذج الرائعة في ثقافتنا الإسلامية لوجدنا أمثلة كثيرة فمن ذلك:

الرغبة في طلب العلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تُقدّم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «واثنين»^(١).

وعائشة رضي الله عنها تنقل لنا بعض مشاهداتها للحركة العلمية في المدينة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه

النبوية فتقول:

«نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين». وأخرج أبو داود في سننه عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا عند حفصة فقال: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة.

كما أن أمهات المؤمنين يجلسن للحديث وطلب العلم، ويعلمن النساء بأمور الدين، وكانت لهن حلقات ودروس مشهورة في بيوتهن ولهن في ذلك فتاوى في معضلات من المسائل وقد روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ.

فعائشة رضي الله عنها كانت حافظة محدثة وقيهة، عالمة بأصول الدين وفروعه، جلست أكثر من أربعين عاماً بين فتيا ورواية الحديث والفقه حتى توفيت سنة ٥٨ هـ.

يقول أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً».

ويقول الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل».



الحث على تعليم النساء

يأتي الرجل مهاجراً للمدينة لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، فيعلن إسلامه للنبي ﷺ ثم يعيش وحيداً لا منزل له ولا زوجة، فيكفل له النبي ﷺ حقه الاجتماعي فيزوجه من نساء المسلمين بما معه من قراءة وكتابة. فيدفع النبي ﷺ صحابته إلى الزواج. فيأتيه رجل فيقول له النبي ﷺ: ما تحفظ من القرآن؟ فيقول الرجل: سورة البقرة والتي تليها. فيقول ﷺ: قم فاعلمها عشرين آية وهي امرأتك. فالنبي صلى الله عليه وسلم قام بعملين عظيمين: أولهما أنه فعل دور المرأة في المجتمع، وأشبع حاجتها وغريزتها بأن رغبها في الزواج لتكوّن لها أسرة. والعمل الثاني: أنه اهتم بثقافتها وعلمها، فقدّم لها مفاتيح العلم من قراءة وكتابة.

فتح مدارس حيوية لتعليم القراءة والكتابة

اهتم النبي ﷺ بالحالة التعليمية للصبيان في المدينة، فأمر أسرى المشركين بتعليمهم القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحهم.

يقول ابن عباس:

كان ناس من الأسرى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة؛ وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه.

أم عطية الأنصارية

محدثنة المدينة والبصرة

نسيبة بنت كعب الأنصارية، صحابية جلييلة، اشتهرت بالعلم والفقه والحديث، عاشت في المدينة وروت عن النبي ﷺ، جملة من الأحاديث ثم انتقلت إلى البصرة.

تقول عن نفسها رضي الله عنها: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى".

قال ابن عبد البر:

كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرّض المرضى وتداوي الجرحى وشهدت غسل ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت : لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال :
« أغسلنها وترأ ، ثلاثاً ، أو خمساً ، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور ،
فإذا غسلتَها فأعلمني » .

وفي غزوة خيبر كانت أم عطية رضي الله عنها من بين عشرين امرأة خرجن
مع رسول الله ﷺ يتغين أجر الجهاد .
لما انتقلت إلى البصرة أصبحت محل اهتمام العلماء وطلبة العلم فصار الناس
يقصدونها ليأخذوا عنها الحديث والفقه .

قال ابن حجر :

كان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت
ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث . روى عنها أنس بن مالك ومحمد بن
سيرين وحفصة بنت سيرين .



أسماء بنت يزيد الأنصارية

خطبة النساء

أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، تكنى أم سلمة ويقال لها " خطبة
النساء " . شهدت اليرموك مع المسلمين وقتلت تسعة من الروم .

يُروى عنها أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي. أنا وافدة النساء إليك. واعلم نفسي لك الفداء، أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي.

إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فأمنّا بك ويأهلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع، والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: « هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟ »

فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفت النبي ﷺ إليها، فقال: « انصري في أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعل^(١) إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، وإتباعها موافقته تعدل ذلك كله » قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً .
هكذا كانت المرأة في الإسلام تعبر عن رأيها بحرية ووضوح، فتلقى الاستجابة والتقدير والاهتمام، ثم تصغي لأمر الشرع وتنقاد له .



في الوقت الذي كانت الفتاة الغربية تعيش مكسورة الجناح، مغلوبة على أمرها في حضارة اليونان وحضارة الرومان، فليس لها حق في العلم والتعليم. كانت الحضارة الإسلامية ترتقي بالعلم والفكر نحو العالمية في جميع مجالات العلوم الإنسانية، حتى أن المسلمين برعوا في الرحلة من أجل تحصيل العلوم والمعارف، فتنقلوا بين الأمصار والبلدان لملاقاة العلماء والمفكرين، فذاع صيتهم، وانتشر علمهم، وبلغت مؤلفاتهم مشارق الأرض ومغاربها. وأدت هذه الحركة العلمية إلى ظهور العديد من الكتابات الخاصة بفن الرحلة لطلب العلم. ولم تقتصر هذه الحركة العلمية على العلماء وطلبة العلم؛ بل نجد أنها أثرت في المجتمع بأسره مما أدت إلى ظهور العديد من القصاصيين والمذكرين والوعاظ في المساجد والمجالس والأماكن العامة مشاركة منهم في التلاحق الثقافي بين الأقطار والأمصار الإسلامية.

قال الزبيري: كانت للإمام مالك، ابنة اسمها فاطمة تحفظ علمه، يعني (الموطأ) وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نقرت الباب، فيفطن (مالك) فيرد عليه.

وفي ظل تلك الثورة العلمية ظهرت في المجتمعات الإسلامية باحثات ومثقفات شاركن في إثراء الساحة العلمية بتصنيف العديد من الكتب في بعض العلوم.

وجاءت مشاركة المرأة في ذلك العصر متنوعة بين الإفتاء والتدريس، ورواية الحديث والحفظ والتأليف، وقد حوت كتب التراجم والطبقات جملة حسنة من تراجم النساء المحدثات والفقيهات والمؤلفات.

ومر معنا أنفا بعض النماذج المثمرة التي وضحت علو همة المرأة، في تعلم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والمشاركة في الجهاد، والدعوة إلى الإسلام، ونشر العلم وتبليغه برغم كثرة مشاغلها وتعدد واجباتها وتنوع مسؤولياتها.

والمرأة في الحضارة الإسلامية حين قامت بهذا العمل قامت حرة مختارة يدفعها إيمانها وطموحها فلم تقيد بمفاهيم، ولم تأسرها قوانين، فأبدعت وتميزت في ظل الثقافة الإسلامية.

يقول المستشرق الإنجليزي "هاملتون":

"إنه من المسلم به عالميا بصفة عامة أن إصلاحات محمد رفعت من قدر المرأة ومنزلتها ووضعها الاجتماعي والشرعي".

وقد جمع الكاتب "محمد خير يوسف" مجموعة من تلك التراجم المتناثرة في بطون الكتب في مصنف له سماه "المؤلفات من النساء".

فمن النساء المؤلفات :

☆ أم الفضل وأسمها بيبي بنت عبد الصمد الهروية^(١).

قال الذهبي عنها:

الشيخة المعمّرة المُسندة، روت عن ابن أبي شريح جزءاً عالياً واشتهرت به .
وقال السمعاني : هي من قرية بخشة على بريد من هَرَاة، صالحة عفيفة،
عندها جزء من حديث ابن أبي شريح تفرّدت به؛ سمعه منها عالم لا يحصون.
وطُبِعَ كتابها بعنوان " جزء بيبي بنت عبد الصمد الهروية الهرثمية " .

☆ مريم بنت أحمد بن أحمد ابن قاضي القضاة محمد بن إبراهيم الأذرعى :

عالمة بالحديث. أصلها من أذرعات (بسورية) ومولدها ووفاتها بالقاهرة.
أخذت عن كثير من الأئمة بمصر والحجاز ودمشق.
قال ابن حجر: خرجت لها (معجماً) في مجلد، وقرأت عليها الكثير من
مسموعاتها وأشياء كثيرة بالإجازة.

☆ صفية بنت عبد الله الربيعي ؛ أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط .

وقد عابت امرأة خطها فقالت :

فسوف أريك الدر في نظم أسطري	وعائبة خطي فقلت لها اقصري
وقربت أقلامي ورقي ومجبري	وناديت كفي كي تجود بخطها

فخطت بأبيات ثلاث نظمها
ليبدو بها خطي فقلت لها انظري
قال الحميدي : وتوفيت في آخر سنة سبع عشرة وأربع مائة . وهي دون
ثلاثين سنة .

✧ أمة اللطيف بنت عبد الرحمن الناصح الحنبلي .
الشيخة الصالحة العالمة، كانت فاضلة، لها تصانيف، من جملتها : كتاب "
التسديد في شهادة التوحيد " ، وكتاب " بر الوالدين " توفيت سنة نيّف وأربعين
وست مئة .

✧ عائشة بنت عبد الله بن الحافظ أحمد المحب الطبري .
روت عن جدّها الإمام المحب الطبري وعمها وأجاز لها غيرهما، لها مؤلّف
في " تاريخ بني الطبري " .

✧ عائشة بنت يوسف بن أحمد أم عبد الوهاب الباعونية الدمشقية:
الشيخة الصالحة الأدبية العالمة، أُجيزت بالإفتاء والتدريس، وألّفت عدّة
مؤلّفات، منها :
" الفتح الحنفي " وكتاب " الملامح الشريفة والآثار المنيفة " " در الغائص في
بحر المعجزات والخصائص وكتاب " الإشارات الخفيّة في المنازل العليّة " .

ومن شعرها :

نزه الطرف في دمشق
هي في الأرض جنة فتأمل
كم سما في ربوعها كل قصر
وتناغيك بينها صارخات
ففيها كلما تشتهي وتختار
كيف تجري من تحتها الأنهار
أشرقت من وجوها الأقمار
خرصت عند نطقها الأوتار
وقصور مشيدة وديار
كلها روضة وماء زلال

أمهات رائدات

ترك الإمام مالك إمام دار الهجرة تراثا ضخما في الحديث والفقه ولا يزال هذا التراث منهلا عذبا للعلماء والباحثين. وكان الدور الأكبر في دعم الإمام مالك رحمه الله، وحثه على طلب العلم، والوقوف خلف مسيرته العلمية؛ والدته "العالية بنت شريك بن عبد الرحمن الأزدية".

فقد كانت نموذجا رائعا للأم المثالية اليقظة؛ في تربية أولادها تربية صالحة، جعلت من ابنها أحد فقهاء الإسلام الكبار.

كان الإمام مالك طفلا صغيرا يلعب مع صبيان المدينة ويبارس هواية تربية الحمام فأيقظت فيه أمه حب العلم فوجهته أمه إلى مجالس العلماء :
وكانت تقول له يا مالك: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

قال مالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟

فقالت: تعال فالبس ثياب العلم فألبستني ثياب مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت: اذهب فاكذب الآن.

أم الشافعي

الإمام الشافعي "محمد بن إدريس" كان يتيمًا فقيرًا مع أمه في غزوة بفلسطين فرحلت به إلى الحجاز واستوطنت به مكة ليتعرف على نسبه، ودفعته لطلب العلم فبعثته صغيراً لقبيلة هذيل ليتعلم الفصاحة والبيان، ثم أشرفت عليه حتى حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين.

قال ابن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هذا الفتى المطلبى يقرأ القرآن، فإذا أتيناه يصلي في الحرم استفتح القرآن حتى يتساقط الناس ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته فإذا رأى ذلك امسك عن القراءة. يقول الأصمعي: (صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس).

من مدينة القطن

أم الإمام "محمد بن إسماعيل البخاري"، صاحب كتاب الجامع الصحيح "صحيح البخاري"

قدمت هذه الأم للحجاز، من مدينة "بخارى" غرب أوزبكستان، لتؤدي مناسك الحج وبصحبته ابناها أحمد، ومحمد. فلما أدت مناسك الحج تركت ابنها الأصغر محمد بن إسماعيل في مكة، وأوصته بطلب العلم وملازمة العلماء ليدرس علوم العربية والقرآن والحديث. فتركته وحيداً في مكة، وعادت إلى موطنها في آسيا الوسطى غرب أوزبكستان مع ابنها الأكبر، وقلبها يخفق على صغيرها. إن هذه الأم قدمت ابنها كنموذج لأم مربية فاضلة صادقة، شغفت بحب العلم وأهله.

فلم يخيب الله رجاءها ودعاؤها؛ إذ حقق لها هدفها، فجعل من صغيرها وفلذة كبدها واحداً من أكبر الأئمة الحفاظ حتى أن كتابه الصحيح يُعد اصح كتاب بعد كتاب الله .

يقول البخاري: ما وضعت في كتابي (الصحيح) حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وقال رحمه الله: ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح، وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق :

كان أبو عبد الله، إذا كنت معه في سفر، يجمعنا بيت، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة، فيوري ناراً، ويسرج، ثم يخرج أحاديث، فيعلم عليها.

زوجات الخلفاء

عاتكة بنت زيد زوجة الفاروق رضي الله عنه :

أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، كانت عاتكة أديبة شاعرة، وفصيحة ذات بيان، عابدة حريصة على الذهاب للمسجد والبقاء فيه للصلاة والعبادة.

فيروى عنها أنها كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا. فقالت: والله لا انتهى حتى تنهاني. فقال عمر: فإني لا أنهاك.

وعن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت وما يمنعه أن ينهاني؟ قال يمنعه قول رسول الله ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله . .

ويروى عنها رضي الله عنها، أنها كانت تقبل رأس عمر رضي الله عنه تقديرا له. وقالت فيه لما قتل:

فجعني فيروز لا درّ دره بأبيض تالٍ للكتاب منيب
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

نائلة الفرافصة:

من فاضلات النساء كانت نصرانية تعيش مع قبيلتها في موضع "سماوة" بين العراق والشام تزوجها الخليفة عثمان بن عفان بعد أن أسلمت.
وقبل ذهابها لبیت الخليفة ينصحها والدها: فيقول لها: "يا ابنتي إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي حتى تكون ريحك ريح من أصابه مطر".
فلما دخلت عليه قال لها عثمان: إني شيخ كبير كما ترين .
قالت: أنا من نساء أحب الأزواج إليهن الكهول .
قال: تقومين إليّ أو آتيك؟ قالت: ما جئت من سماوة إلا وأنا أريد القيام إليك.

وكان الخليفة يمازحها فيقول لها: أنا شيخ كبير . فترد عليه: أبلت عمرك في الإسلام ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
اشتهرت بطاعتها لزوجها وفصاحتها وشجاعتها حتى أنها يوم مقتل عثمان دافعت عنه وحمته بجسمها فأصابها وقع السيف فقطع أصابع يدها.
وكان الخليفة يحبها ويكرمها ويستشيرها في بعض أموره .
قالت في زوجها:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل التجبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وأبكي قرابتي وقد غيبت عني فضول أبي عمرو

روت عن عائشة قالت: أمتنا عائشة في صلاة فقامت وسطنا.

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان :

عاشت فاطمة بنت عبد الملك، في عزّ ورخاء في بلاط الخلافة
الأموية، وحظيت بالنسب الشريف والمكانة العالية، فولدها خليفة وجدها خليفة
وإخوتها الأربعة خلفاء وزوجها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.
يُذكر عنها أنها كانت جميلة أديبة ذات جاه وسؤدد، فقولها مسموع وأمرها
مطاع، فهي سليلة المجد وربيبية القصور .
قيل فيها:

بنت الخليفة والخليفة جدّها أخت الخلائف والخليفة زوجها

عندما تزوجها الخليفة عمر بن عبد العزيز، خيرها بين نعيم القصور وبين
حياة الزهد والتقشف، فاختارت البقاء معه راضية غير مجبورة، وزاهدة تبتغي
الفضل والثواب، فانتقلت مع زوجها تاركة خلفها الترف والنعيم الذي كانت فيه.
نظر الخليفة العادل إلى الجواهر والحلي التي كانت مع فاطمة فقال لها:
من أين لك هذا ؟ فقالت من عند والدي.

فطلب منها أن تعيدها لبيت مال المسلمين، فأمرت بها فحملت ووضعت في
بيت مال المسلمين . فأثرت طاعة زوجها ورضاه عن متاع الدنيا .
ولما توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كلمها أحد الخلفاء قائلاً لها:
إن شئت يا فاطمة رددتها إليك .
فقالت : لا والله ما أطيب به نفساً في حياته و أرجع فيه بعد موته .

قدمت امرأة من الرعية تريد الخليفة في حاجة لها فصوفوا لها بيت الخليفة،
فقصدته فرأت بيتا متواضعا وبداخله امرأة تعجن عجينا، فقالت لها أين الخليفة؟
فقالت لها فاطمة : هذا خليفة المسلمين، فالتفتت المرأة وإذا برجل واقف
يصلح جدار بيته وفي يده لبنه من طين.

ويُروى عنها : أنها أشفقت على زوجها، من شدة زهده في الدنيا، فكانت لها
جارية مملوكة فوهبتها لزوجها وقالت له: تناول حاجتك منها.
فقال عمر للجارية : تعالي حدثيني عن قصتك وسبب سييك؟
فقالت الجارية كنت جارية من البربر جنى أبي جناية فهرب من موسى بن
نصير عامل عبد الملك على إفريقية فأخذني موسى بن نصير، فبعث بي إلى
عبد الملك، فوهبني عبد الملك لفاطمة، فأرسلت فاطمة بي إليك.
فقال عمر: كدنا والله أن نفتضح فجهزها وأرسل بها إلى أهلها.
وكانت فاطمة تصفه وتقول فيه:

والله ما كان بأكثر الناس صلاة، ولا أكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت
أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصفور
من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحنَّ الناس ولا خليفة لهم .



مهارة المزاح وحسن المعاشرة

قال أنس بن مالك : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس . وقال صلى الله عليه وسلم : رَوْحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ . ومن مزاحه ﷺ ما رواه أنس قال : كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ كان له نغير يلعب به فمات .

وروى الترمذي في الشمائل المحمدية : عن الحسن قال :

أتت عجوز من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَازُ وفي رواية العجوز وفي رواية لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ فبكت وفي رواية فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : لَسْتَ يَوْمَئِذٍ يَعْجُوزُ أَمَا قَرَأْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَزْوَاجًا ۖ ﴾^(١) .

وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لزوجها فقال لها : مَنْ زَوْجُكَ ؟ فقالت فلان فقال : «الذي في عينه بَيَاضٌ ؟» فقالت أي رسول الله ما بعينه بياض قال : «بلى إِنَّ بَعِيْنَهُ بَيَاضًا» فقالت : لا والله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَعِيْنُهُ بَيَاضٌ» وفي رواية

(١) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية ، وقال الألباني حديث حسن .

فانصرفت عَجَلِي إِلَى زَوْجِهَا وَجَعَلَتْ تَتَأَمَّلُ عَيْنِيهِ فَقَالَ لَهَا : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَتْ :
أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ فِي عَيْنِيكَ بَيَاضاً فَقَالَ لَهَا : أَمَا تُحِبُّينِ
بَيَاضَ عَيْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَوَادِهَا ؟ .

وَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ أُخْرَى فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي عَلَى بَعِيرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : احْمِلُوهَا عَلَى ابْنِ الْبَعِيرِ فَقَالَتْ : مَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ مَا يَحْمِلُنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَهَلِ مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا ابْنُ بَعِيرٍ ؟» فَكَانَ يَمْزِجُ
مَعَهَا .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ فَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بَوْلَدِ النَّاقَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَهَلِ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقُ ؟»^(١) .

وَعَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ يَغْتَسِلُ ، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهَا وَقَالَ يَالْكَاعُ^(٢) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَابَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَسَبَقْتَهُ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي فَقَالَ : «هَذِهِ بَتْلُكَ» .

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم ١٩٩١

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٢٠١٧٣

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت عائشة فبعث إليه بعض نسائه بقصعة فدفعتها عائشة فألقته وكسرتها ، فجعل النبي عليه السلام يضم الطعام ويقول : غَارَتْ أُمُّكُمْ فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التي كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة^(١) .

وأخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرني، حتى أقول دع لي دع لي .

وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنها هو عندك دخیل، يوشك أن يفارقك إلينا)^(٢) .

قال بعض الحكماء:

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، وحسن الاستماع هو إمهال المحدث حتى ينقضي حديثه.

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٢٢٥ .

(٢) رواه أحمد في المسند برقم ٢٢١٠١ .

قال ابن عباس :

المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقاً.

قال غالب القطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفي البارحة ، أما شعرت ؟
فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . فضحك وقال : " الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " .

ومن حسن المعاشرة مشاركة الزوجة لزوجها في بحثه ومدارستها العلم والأدب معه لترقى بفكرها ويرقى بفكره ففي مدارس العلم بين الأزواج منافع عديدة أدناها حسن المعاشرة والتلطف وتفهم الآخر .
ويروى عن أبي البقاء العكبري أنه كانت له زوجة تقرأ له في الليل كتب الأدب وتعينه على الاشتغال بمطالعة الكتب .

قال بعض الحكماء : يتأمل خطيبة

صبية ذات دين زانه أدب بكر ولود حكت في نفسها القمر

غريبة لم تكن من أهل خاطبها تلك الصفات التي أجلوا من نظرا

وأخرج الخطيبُ في "الجامع لأخلاق الراوي والسامع" عن الزُّبير ابنِ أبي
بَكَّارٍ قال: قالت ابنة أختي لأهلنا: خالي خيرٌ رجلٍ لأهلِهِ، لا يتخذُ ضرَّةً ولا
يشترِي جارية. قال: تقولُ المرأةُ (أي زوجته): والله لَهذه الكتبُ أشدُّ عليَّ من ثلاثِ
ضرائرٍ.

ويروى عن أم العز بنت محمد بن علي العبدري .
أنها كانت مشابرة في تحصيل العلوم والمعارف، فبرعت في القراءات
السبع، وكانت مداومة على مجالسة والدها ومدارسته العلم حتى أنها سمعت
صحيح البخاري من أبيها بقراءتها عليه.

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	أصل الأنثى
٦	مؤمنات يقهرن الطغاة
٨	رقية الثقفية
٩	سمية بنت خياط
١٠	رضيع يحث أمه على النار
١٠	حوار من نوع آخر
١٢	أم رومان
١٣	عظمة عائشة
١٦	حليمة الراوية الأولى
١٨	يونانيات أم رومانيات
١٩	دائرة المعارف البريطانية والمرأة
٢٤	أم عطية الأنصارية

الصفحة

الموضوع

٢٥	خطيبة النساء
٢٧	باحثات ومؤلفات
٣١	أمهات رائدات
٣٢	أم الإمام مالك
٣٢	أم الإمام الشافعي
٣٢	أم الإمام البخاري
٣٤	زوجات الخلفاء
٣٤	زوجة عمر الفاروق
٣٥	زوجة عثمان بن عفان
٣٦	زوجة عمر بن عبد العزيز
٣٨	مهاراة المزاح وحسن المعاشرة
٤٣	المحتويات